

كمال الدين وتمام النعمة

[617] الملك: أخبرني أي الفضل أفضل ؟ قال: الرضا بالكفاف، قال: أخبرني أي الادب أحسن ؟ قال: أدب الدين، قال: أي الشئ أجفا ؟ قال: السلطان العاتي، والقلب القاسي، قال: أي شئ أبعد غاية، قال: عين الحريص التي لا تشبع من الدنيا، قال: أي الامور أحيث عاقبة ؟ قال: التماس رضي الناس في سخط الرب عز وجل، قال: أي شئ أسرع تقلبا، قال: قلوب الملوك الذين يعملون للدنيا، قال: فأخبرني أي الفجور أفحش ؟ قال: إعطاء عهد الله والغدر فيه، قال: فأني شئ أسرع انقطاعا، قال: مودة الفاسق، قال: فأني شئ أخون ؟ قال: لسان الكاذب، قال: فأني شئ أشد اكتتاما ؟ قال: شر المرائي المخادع، قال: فأني شئ أشبه بأحوال الدنيا، قال: أحلام النائم، قال: أي الرجال أفضل رضي ؟ قال: أحسنهم طنا بالله عزوجل وأتقاهم وأقلهم غفلة عن ذكر الله وذكر الموت وانقطاع المدة. قال أي شئ من الدنيا أقر للعين، قال: الولد الاديب والزوجة الموافقة المؤاتية المعينة على أمر الآخرة، قال: أي الداء ألزم في الدنيا ؟ قال: الولد السوء والزوجة السوء اللذين لا يجد منهما بدا، قال: أي الخفض أخفض ؟ قال: رضي المرء بحظه واستيناسه بالصالحين. ثم قال ابن الملك للحكيم: فرغ لي ذهنك فقد أردت مساءلتك عن أهم الاشياء إلي بعد إذ بصرني بالله عزوجل من أمري ما كنت به جاهلا، ورزقني من الدين ما كنت منه آيسا. قال الحكيم: سل عما بدالك، قال ابن الملك: أرايت من أوتي الملك طفلا ودينه عبادة الاوثان وقد غذي بلذات الدنيا واعتادها ونشأ فيها إلى أن كان رجلا وكهلا، لا ينتقل من حالته تلك في جهالته بالله تعالى ذكره وإعطائه نفسه شهواتها متجردا لبلوغ الغاية فيما زين له من تلك الشهوات مشغلا بها، مؤثرا لها، جريا عليها، لا يري الرشد إلا فيها، ولا تزيده الايام إلا حبالها واغترارا بها، وعجبا وحبا لاهل ملته ورأيه. وقد دعت بصيرته في ذلك إلى أن جهل أمر آخرته وأغفلها فاستخف
